

أجراً استلهام التراث، واستعصاء تجسيدها في أدب الطفل بالجزائر

**The methods of inspiration from heritage and the challenge of portraying it
children's literature.in**¹ منال عابد رقيق¹ أستاذ محاضر ب، جامعة الجزائر 02 ، Manel.abedrguieg@univ-alger2.dz

القبول: 2024-06-12

الاستلام: 2024-06-02

ملخص:

البحث عبارة عن قراءة سائلة لأجراً استلهام التراث في أدب الطفل عموماً وفي الأدب الجزائري على الخصوص. ولعل الجديد الذي ناشده يكمن في الإلمام بكل السبل التي تسعف كتاب أدب الطفل في استلهام التراث غير المادي بأشكاله وتنوعاته في الأجناس الأدبية التي تستضيفه لتستببت جملة من القيم التربوية والتثقيفية والمعرفية والسوسيوثقافية دون الإخلال بسيكولوجية نمو الطفل. وقد تبنت الدراسة منهجاً وصفيّاً أسعفه في تتبع ظاهرة استلهام التراث في أدب الطفل العربي والجزائري منه مع تقصي أغلب التقنيات والمصطلحات التي كان لها الفضل في إمتاع الطفل بتراثه الثري.

كلمات مفتاحية: التراث، أدب الطفل، التاريخ، الأدب الجزائري**Abstract:**The methods of inspiration from heritage and the challenge of portraying it in Algerian children's literature.

The topic of research is how heritage is portrayed in children's Arabic literature generally and in Algerian literature specifically. an understanding of all the ways that a book of children's literature can contribute to the inspiration of the intangible heritage of its forms and diversities into the literary races that it hosts, thereby supporting the development of a child's psychology while generating a number of educational, polite, cognitive, and sociocultural values.

kid's appreciation of his rich heritage, taking a descriptive approach to cultures to educate and entertain children.

Keywords: Heritaga. Childrens Literature. The Date.Algerien Literature.

● مقدمة:

يعتبر التراث منبعاً من منابع العمل الفني في أدب الطفل، وذلك لمدى أهميته في تشكيل هويته، واستشعاره بروح التراث التاريخي الذي يعدّ رافداً مهماً من روافد بناء شخصية الطفل الهوياتية، واستدعاء التراث في نصوص الطفل، هو دليل على مدى قدرة التراث كمدخل فني للتعريف بالتاريخ عن طريق الحكايات الشعبية، وبطولات الأجداد، واستحضار الشخصيات التي تركت أثراً بالغاً في نفوس المؤرخين.

ولأجل كل ذلك تروم هذه الدراسة عن البحث في مقومات التراث التاريخي في فن القصة بالجزائر، من خلال توظيف التناص، وقصص الحيوان، والاقتباس والاستلهام، وقصص الحيوان، والحكايات الشعبية. كل هذه الآليات الفنية والتعبيرية شكلت نقطة تقاطع بين التراث وأدب الطفل، فالتراث له فائدة عظيمة في تربية الطفل وتوجيه فكره، وتحسين سلوكه، فلعديد القصص التراثية حكم ومواعظ وقصص لها من الموعظة والتربية والنصح ما يغني عن عديد الكتب التربوية، أو بنافسها في ذلك.

ومنه أتت إشكالية البحث منطلقاً من سؤال رئيسي:

كيف يمكن الاستفادة من آليات استحضار التراث وتجسيدها في أدب الطفل بالجزائر؟

وإلى أي مدى تمكن رواد الفن القصصي والمسرحي والتناسي من تفعيل التراث في أدب الطفل؟

ولأجل الإجابة عن هذه الإشكالية تم طرح مجموعة من الفرضيات منها:

- يعتبر التراث تصويراً فنياً وواقعياً لتاريخ الجزائر

- تمنح الحكايات الشعبية وقصص الأطفال والأساطير المستمدة من التراث للطفل مادة فنية ورسالة توعوية يتم من خلالها تشكيل هويته ومستقبله.

- إن التنوع الثقافي الذي يتميز له تراثنا هو بمثابة نقطة الانطلاق في توجيه الطفل محو وعي جديد بأهمية التراث.

ولأجل اثناء هذا البحث اعتمدت الباحثة منهجا تاريخيا، حاولت من خلاله رصد أهم الاجراءات المعرفية والنقدية والفنية لاستلهام التراث في أدب الطفل.

أما خطة البحث فكانت وفق عناوين متسلسلة ترابطت فيما بينها واتسعت؛ وذلك لأهمية الموضوع، ففتحت منابع الفكر لاستجلائه من مختلف الفنون والآداب.

التراث في أدب الطفل يعني استحضار شكل من أشكاله في نسج أحداث العمل الأدبي الموجه لشريحة الصغار، والعمل على استلهام هذه الأشكال من كليله ودمنة أو من ألف ليلة وليلة أو من سير وبطولات بعض الشخصيات الملحمية التي اشتهرت في فترة من فترات التاريخ العربي أو العالمي، أو من بعض الأساطير والحكايا الخارقة المثيرة والقصائد والنوادر الفكاهية والأمثال الشيقة بحسب المرحلة العمرية لهذا المتلقي ذي الخصوصية المتميزة؛ ذلك لأن كل مرحلة من مراحل النمو تتباين عن الأخرى وقد تتقاطع في بعضها.

يعتبر التراث مصدرا مهما لطالما أمد أدب الطفل بنصوص ثرية وغنية لا تنضب، فقد أتاح التراث للكتاب أن يقتبسوا منه ما يشاؤون من الأشكال والمواضيع (محمد، 2016، صفحة 73)، فالتراث العربي غني بحكايا وأخبار عن البخلاء والمغفلين والأذكاء ونوادر جحا وأشعب وغيرها من الشخصيات الفكاهية، إضافة إلى العديد من الكتب مثل كتاب ألف ليلة وليلة، وكليله ودمنة، وغيرها.

إن استلهام مجموع ما ورثناه أو ورثنا إياه الأسلاف من عادات وتقاليد وخبرات وإنجازات أدبية وفنية عبر تراكم الأزمنة، ثم توظيفها من خلال الفنان المسرحي شكلا ومضمونا، لخلق روحية جديدة ورؤية

معاصرة تتلاءم مع المستوى الحضاري، وذلك من أجل التأسيس لمنظومة ثقافية وفكرية وتربوية وأخلاقية (يحي، 2017).

هذا وينبغي تكييف هذه الأشكال التراثية بإعادة صياغتها وتحويلها إلى قصص ومسرحيات مبسطة وإلى قصائد شعر وأناشيد وأغان... وغيرها مع العمل على منحها لوناً يتناسب وروح العصر الذي يعيشه الطفل. حيث كثيراً ما ينجذب الأطفال نحو الأعمال التي تتخذ طابعاً تراثياً، وتؤثر في عقولهم ووجدانهم، كونهم يتعايشون مع الطقوس الشعبية، لأنها تحمل الصبغة الخيالية والعجائية الساحرة فضلاً عن اللغة الجميلة.

هذا ويعتمد الكاتب إلى تبسيط المادة التراثية في شكل قصة أو مسرحية، أو قصيدة ومن أمثلة التبسيط؛ كأن يعرف الأطفال بشخصية تاريخية هامة، ويجعلها تتحدث عن نفسها، مولداً ونشأة وأعمالاً، مع استعراض نماذج من إبداعاتها وأعمالها بأسلوب مبسط ومناسب لمدرجاتهم الحسية والفكرية. وتعتبر بعض الأجناس الأدبية أكثر طواعية لاستثمار التراث، وأكثرها مقدرة على استلهاًه ومن بينها المسرح والقصة وغيرها.

ويهدف هذا الاستلهاً إلى إطلاع الأطفال على تراثهم، والسماح لهم بالتعرف على الشخصيات التراثية الهامة في تاريخ ثقافة أمتهم، كما يسعى إلى غرس القيم والمثل والفضائل في نفوسهم، إذ بإمكانها أن تترسخ في أذهانهم، بالإضافة إلى توسيع آفاق معارفهم، والعمل على إثراء ثقافتهم، وإكسابهم الخيال الخصب.

2- سبل استلهاً التراث وفق سليمان العيسى:

إن توظيف التراث لا يعني مجرد الالتزام بأحداثه، ولغته، والوقوف عند مراحل التاريخ، بل لابد من تجاوز ذلك، باستثمار التراث ليكشف عن الواقع المعيش فيما يلتقي معه من جوانب قد تشبهه، ويصبح

تجلي الموقف التراثي كاشفاً عن الماضي بما فيه من إيجابيات، والحاضر بما فيه من سلبيات في الوقت نفسه، ومستشعراً بالتغيير المستقبلي المرجو أيضاً، كما تتجلى القيم التي ترجى من وراء ذلك، ويراد غرسها في الأطفال وتقريبها إليهم (الرضا، 1993، صفحة 122).

كما تحتاج هذه العملية إلى شروط معيّنة لتحقيق أهدافها، وأهم عنصرين للتعامل مع التراث واستلهامه كما يحلدها الشاعر "سليمان العيسى" هما: الرؤية الجديدة واللغة الجديدة؛ حيث تعني الرؤية الجديدة تكيف العمل وفق ما هو سار في الحاضر مع بعث الحياة فيه، وجعله جديداً على الدوام.

ويقصد باللغة الجديدة تلك الوسيلة التي تجعل من هذا الماضي البعيد شيئاً قريباً منا ومألوفاً لدينا. إذن لنجاح عملية الاستلهام ينبغي قراءة التراث قراءة متفحصّة، وفهمه فهماً سليماً وتقديمه برؤى آنية واستشرافية، وعواطف جياشة؛ حتى يتسنى له التأثير في مستقبل المتلقي الصغير، ويسمو به نحو الأفضل، وذلك بفضل قراءة معاصرة للتاريخ، إضافة إلى مزج ساحر بين الأصالة والمعاصرة.

إن التراث هو قبل كل شيء ذاكرة جماعية لأمة من الأمم ومن هذه الوجهة، فإن له علاقة بالتاريخ بمختلف مكوناته من حيث أنه يتعلق بالأحداث الماضية، ولكنه يتجاوز التاريخ، إذ ينسحب على الحدث التاريخي لا في ماضويته فحسب، بل وخاصة في امتداده في الحاضر والمستقبل.

وتجدر الإشارة استناداً إلى ما سلف أن توظيف التراث هو قراءة للموروث التاريخي والديني والفكري والأدبي والفني والعلمي والتقني والجمالي، قراءة نقدية هادفة، ووظيفية متبصرة وواعية، قوامها قراءة الماضي في الحاضر، وقراءة الحاضر في الماضي، عبر الجمع بين الأصالة والمعاصرة، والتشبث بالهوية والخصوصية الحضارية والفكرية مع الانفتاح على الآخر عن وعي ونضج وذكاء (حمداوي، 1997).

وإذا كان التراث تعبيراً عن أصالة الشعوب، ومن دعائم وجودها وبقائها، فإنه من الضروري توظيفه بطريقة تتيح للأطفال التعرف على تراثهم، وما اعتراه من نفائس في فترات تاريخية متألفة من ماضي أسلافهم الغني بالأحداث والوقائع المثيرة والمشرفة في الوقت نفسه.

وعلاوة على هذا ينبغي عدم إغفال ما للأدب الشعبي من ثراء بالمواضيع التي يمكن استلهاها وصياغتها بما يوائم مدارك الأطفال، ويتمشى ومستوى تفكيرهم ونضجهم العقلي والانفعالي واللغوي. وحرى بالمبدع في هذا المقام أن يكرس جهده للعمل على تناسب الحوادث المنطقية مع معطيات العصر الذي يعيشه الأطفال، ثم تُعرض بأساليب مشوّقة ومثيرة تحفّز خيال الطفل وتستثير عواطفه، وتعمل على تعميق انتمائه الإنساني، وتغرس في أعماقه قيما جميلة، وتنمي حسّه الجمالي، وتبقي أفق انتظاره متقدماً على الدوام بفضل تلك المادة التراثية التي تمّ استلهاها بغية تجسيد الأهداف والغايات السلوكية والتربوية والترفيهية. (عيسى، 1998، الصفحات 106-108)

فالأدب الإبداعي الموجه للطفل له وظائف التربية الوجدانية (التربية الجمالية) الوظيفة الأخلاقية والنمو العقلي والانفعالي الإيجابي عن طريق تنمية الحس الجمالي أو التذوق الفني واكتسابه للقيم والعادات والسلوكيات والمهارات اللغوية والتعبيرية، ومن ثم التعبير السليم عن مطالبه وأفكاره ومشاعره (عمرو، 1990، صفحة 41)

فتوظيف التراث في أدب الطفل هو أحد الوسائل التعليمية؛ حيث يدخل في نطاق التربية الجمالية والتربية الخلقية، فضلاً عن مساهمته في التنمية العقلية، إلى جانب اهتمامه بالتعلم الفني للنشء منذ مراحل تكوينه الأولى داخل المدرسة وخارجها (كنعان، 2011، صفحة 90).

ويكون المبدع على هذا الأساس، قد استخدم التراث في أدب الطفل واستلهم من أشكاله، وصاغ منه صوراً لا حصر لها من المشاهد المواتية لظروف واقعه المعيش، إلى أن أصبح التراث منبعاً ومصدراً

يمكنه أن يغرف منه بسخاء، لكن دون الإخلال بشروط الاستلهام التي تلزمه باحترام عملية الأخذ من جهة وطبيعة المتلقي الصغير من جهة ثانية والذي يستحسن جعله في تواصل مستمر مع ماضيه.

إن من أجرة استلهام الأجناس الأدبية الموجهة إلى الطفل ثلة من التقنيات التي تبناها كتاب أدب الطفل الذي يتحملون تبعه مخاطبة الطفل فكرا وإدراكا وخيالا وسلوكا دون أن يسيئوا للنص الأصلي، فيحدثون بذلك الأثر نفسه الذي جسده النص الأصلي. ومن أهم تلك التقنيات الاستلهام، والاعداد، والاقتراس، والتحويل، والتقديم، والاستدعاء، والتضمين والتناص.

2-1 الاستلهام رؤية في استحداث التراث:

لاستجلاء الدلالة القريبة من هذا المصطلح، تجدر العودة إلى الجذر اللغوي الذي ينبثق عنه بالمعجم العربي الذي رصد فعله المزيد "استلهم" بمعنى "سأل" و"طلب أن يتعرف عليه" وكذا "استوحى" (عربي، 1990). ولعل الأقرب هو المعنى الأخير "استوحى" ومفاده هو أن يستوحى الكاتب إبداعه المستجد من مرجعيته القرائية، والمعرفية والثقافية الفنية والانتربولوجية.

والاستلهام من التراث هو الاستئناس ببعض ما يزرع به من قصص وحكايا وأشعار وأساطير وغيرها، لإدراجها في إبداعه الآني وفق رؤيته الخاصة. كما تتعلق دلالاته بإسناد الكاتب في إبداع عمله الأدبي في شكله ومحتواه أو الاثنين معا ويعمل على توسيع بعضها محيطا بشكل من أشكال التراث، ومستمدا من روح عصره. أو أن يتخذ ديكورا لأحداث آنية، متوخيا إجراء مقابلة بين القديم والجديد، أو بهدف منه إلى تطويع نصه الإبداعي لدعامة من الدعامات التراثية مثل الشخصية الشعبية وخيال الظل وغيرها. أو كأن يستعير العمل الإبداعي مضمونا، أو أن يكون وسيلة إيضاح تربوية، فيقدم المادة التراثية كما هي، لكن في ثوب عصري مع الإبقاء على جوهرها ثابتا من دون حذف أو إضافة أو تعديل إلا بالقدر الذي يتطلبه الإعداد الجديد... (طاهر، بلا تاريخ)

ولعلّ من أكثر الأدباء العرب استلهاماً للتراث عموماً ولقصص كليلة ودمنة خصوصاً نجد "كامل الكيلاني" الذي يعدُّ رائداً في هذا المجال، فكانت أولى قصصه للأطفال بعنوان "السندباد البحري" عام 1927، واستمر على ذلك ردحا من الزمن. ومن الكتاب العرب الذين استلهموا من هذا التراث الأدبي الضخم الكاتب عبد التواب يوسف، والشاعر سليمان عيسى وغيرهما. حتى أنه من النادر وجود كاتب عربي لم يستوح هذا المجال الخصب لصالح الأطفال، نظراً لتميزه بالفائدة والمتعة، وقدرته على تنمية تفكير الأطفال واستثارة خيالهم، إضافة إلى تفردّه بالأجواء المشبعة بالتنوّع والدهشة والعبرة والحكمة، ومقدرته على نشر روح المغامرة والفكاهة والمرح. (جاسم، 2022، صفحة 88)

وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب الجزائريين وفي مقدمتهم أحمد منور في مسرحيته "النملة والصرصور" التي استلهمها من التراث العالمي، قد ضمنها تراثاً إسلامياً بما يركز عليه من قيم أخلاقية وسلوكية، أراد أن يستنبتها بخلد الصغار منذ نعومة أظافرهم.

2-2 تقنية التحويل الماهية والدلالة:

تومئ دلالة المصطلح إلى عملية تحويل المادة التراثية في النص الأدبي الجديد؛ كأن تكون القصة أو المسرحية أو السيناريو تمّ تحويلها عن خبر أو مثل أو نادرة أو مقالة أو شعر، وقد يعتري النص الزيادة والنقصان والتعديل أو التبديل، ولولا ذلك ما سموه تحويلاً وإنما نقلاً مطابقاً تاماً وكلياً. وبعد كامل كيلاني رائداً في هذا المنحى الإبداعي؛ حيث عمد إلى الإفادة من التراث في أعماله القصصية محولاً ما يناهز العشر قصص من ألف ليلة وليلة إذ كان لها الأثر البالغ في توجهه هذا. فالمتتبع لحكاياته؛ يلمس بعض أوجه التشابه في المضمون والأسلوب والإطار بينها وبين "كليلة ودمنة" وبذلك تذكّرنا طريقة كامل كيلاني بطريقة أبان بن عبد الحميد اللاحقي في ترجمته لحكايات كليلة ودمنة شعراً. كما عمد الكاتب إلى فك ارتباطها ببعضها بعضاً، عاملاً على تبسيط مضمونها وتخليصها من غريب اللغة.

2-3 الإعداد والاقتباس تقنيتان لتوظيف التراث في الابداع المسرحي:

عرف مصطلح "اقتباس" عدة تسميات هناك من يراه إعدادا مثلما ورد ذلك لدى ماري إلياس وحنان قصاب أن ADAPTATION بالفرنسية يقابلها في العربية "إعداد" وهي عملية تعديل تجري على العمل الأدبي أو الفني من أجل التوصل إلى شكل فني مغاير يتطابق مع سياق جديد" (إلياس و قصاب ، 1997، صفحة 44).

تبدو هذان التقنيتان أكثر طواعية واستعمالا في المسرح؛ ذلك أن الدراماتورج مثلا، يعمل على إعداد قصة أو رواية، فينقلها من قلبها الفني الأصلي الذي يتمحور حول الأحداث المدعنة في السردية إلى فضاء نظرية الدراما بصراعها وجبكتها وشخصها وحواراتها وغيرها، فتصبح مكثفة بعد رصده للأفعال الدرامية التي تجعل الصراع يحتدم فيما بين شخصيات النص المسرحي في حوارات تنتظم في بناء درامي مدروس يبقى أفق الانتظار متّقدًا.

ردفا على ما تقدم نستخلص أن الاقتباس فهو عبارة عن عملية ذهاب وإياب بين الأجناس الأدبية المختلفة، على أن يتمّ من فن أدبي غير المسرح على غرار القصة والرواية أو الشعر، لتصبح مسرحية لا يسقط منها أي عنصر درامي. فيكون اقتباسا حرا متى ما لم يلتزم بحثيات وأحداث العمل الفني الذي اقتبس منه، فيتعامل معه وفق منظوره ورؤيته المعاصرة، فيلبسه حلة لم يكن عليها في صيغته الأولى.

كما قد يكون الاقتباس جزئيا؛ وفيه يقتبس النص القصصي في جانب من جوانبه فقط، وعكسه الاقتباس الكلي (وقد يسمى الحرفي) الذي يحترم مضمون النص الأدبي المقتبس منه أحداثا وشخصا وزمانا ومكانا، ولا يقصر في تقديمه وفق ما تتطلبه الكتابة الدرامية.

هذا ويمكن اقتباس فكرة أو موضوع من قصة إلى رواية، أو من مقال إلى رواية أو مسرحية مع مراعاة فنيات الجنس الأدبي المقتبس إليه.

هذا ويزخر الأدب الجزائري ومنه أدب الأطفال بهتين التقنيتين الأكثر تكريرا من غيرهما في التعامل مع التراث المحلي منه والعالمي على غرار ما قام به رائد الأدب الشعبي "عبد الحميد بورايو" في آخر إصداراته الموجهة إلى الناشئة.

2-4 التقديم جسر لاستنبات القدوة:

تحيلنا هذه التقنية على ما يلجأ إليه بعض المهتمين بأدب الطفل، حرصا منهم على تعزيز قيم المواطنة والابداع لدى شريحة الأطفال من خلال تقديم كوكبة من رجال التاريخ أو الفكر والعلم والفلسفة ليكونوا لهم قدوة؛ إذ يعرفونهم بسيرهم الموضوعية الزاخرة بالمواقف الإنسانية والمناقب السامية والخلال الكريمة، إضافة إلى مجالات إبداعهم التي تبعث على الفخر والاعتداد.

وعليه يمكن استخلاص معنى "التقديم" على أنه "الاختبار على سبيل الشرح أو التعريف، عندما يلجأ الكاتب إلى وضع مختارات وتقريبها من مدارك المتلقي الصغير عن طريق استنطاق الشخصيات وإيراد سيرهم على لسانهم، أو أن يورد سيرهم في سلسلة، وهذا ما فعله الشاعر سليمان العيسى في كتابه (شعراؤنا يقدمون انفسهم للأطفال) الذي قدم فيه سلسلة من الشعراء العرب البارزين في الادب العربي وقد اختارهم من اجود المواهب واعمّها تأثيراً في الاجيال القديمة والحديثة على السواء" (طاهر، بلا تاريخ، صفحة 15). وعليه يمكن أن تدرج كل كتب الأعلام والمؤرخين والشعراء والعلماء في مجال تقنية "التقديم" التي تخدم التراث البشري والإنساني الذي تذكر بأمجاده. هذا ويرتهن نجاح التقديم بذوق الأديب ومدى اضطلاع به بعملية الشرح والعرض التي تجعل الصغار يقبلون على نتاجهم بشغف.

2-5 الاستدعاء بعث وإسعاف للتراث:

يقوم الاستدعاء على محاورة الشخصيات والاحداث او المراحل التاريخية في عمل ادبي جديد من خلال استحضارها. "ويكون الاستحضار جزئياً أو كلياً أو تصريحاً، أو تلميحاً، أو تعبيراً مباشراً أو تعبيراً

فنياً كما يفعل الكتاب عند الكتابة عن معارك العرب على وجه الخصوص. ومن ذلك سليمان العيسى في ديوان (اغنية في جزيرة السندباد) وبطلانه هما الشاعر وشهرزاد. والاسطورة التي تعلم أن الشاعر لم يأت الى الجزيرة الا لمناجاة ارواح الاعلام الكبار من الادباء والنحويين القدماء" (طاهر، بلا تاريخ، صفحة 15). . ويسع القول إن الاستدعاء من التقنيات المسعفة للتراث وذلك عن طريق بعثه من ثنانيا الماضي ليصير حاضرا مزهوا بأسماء تجسد البطولة والشجاعة والجرأة في شخصية الصغار، ضف إلى ذلك تأثيرهم بمغامراتها وبالأحداث الكبيرة والمثيرة مثل السندباد البحري والوزير سالم وعنترة وغيرهم كثير.

2-6 دلالة التضمين في البلاغة وأثره في أعمال التراث:

لطالما ورد مصطلح التضمين في البلاغة العربية داعما للاقتباس الذي يندرج في المحسنات البديعية ويتجسد في توظيف الآيات القرآنية والحديث النبوي الشريف. بينما التضمين مفاده اقتباس الشعر من غيره بلفظه ومعناه، إما تأكيدا وتأييدا لفكرة أو للاستعانة به على إجلاء معنى ما، أو للرقى بالأسلوب والصياغة.

أما تضمين التراث؛ فهو استيعابه والإلمام بمكوناته ودمجها في النص الجديد بما يتماشى ومتطلبات العصر. يبقى الإيحاء إلى المضمون الأصلي بارزا سواء أكان بطريقة مباشرة عن طريق تضمين المفردة كما هي أو تضمين مواصفات وأبعاد الشخصية التراثية حتى وإن كانت الأحداث الأصلية مغايرة تماما. كما يستطيع الكاتب استخدام التضمين غير المباشر في الفكرة والموضوع ليصبح بذلك التراث عنصرا أساسيا في إبداع العمل الأدبي الجديد (جاسم، 2022، صفحة 50).

ويرى بعض الباحثين أن التضمين أصعب من أن يوجه للطفل في جميع مراحل العمرية إذا أريد تسخيره في مسألة توظيف التراث في أدبه، ذلك أن مضامين التراث تبقى بحاجة إلى التفسير والتحليل، والإفهام كيفما كان الجنس الأدبي الذي سيوظف فيه شعرا كان أو قصة أو مسرحية مع مراعاة البعد الزمني ماضيا كان أو حاضرا، إضافة إلى القيم التربوية والأخلاقية والسلوكية. وكل ذلك لتجنب الطفل بعض السلبيات

التي ترسبت في التراث غير المادي على غرار الحكم والأمثال الشعبية المثبطة لعزيمته، وتلك التي تزرع فيهم حب الغنى السريع ونبد طلب العلم وغيرها من المعاني والدلالات السيئة التي تبعده عن مساري التربية والتعليم.

هذا ويرى الشاعر سليمان العيسى أنه من واجب المربين إذا ما رغبوا في تربية الإنسان العربي الجديد أن يطلعوا على التراث، قراءة وتدبرا ونقدا لتسعفهم خبراتهم في اختيار الجوانب الإيجابية فيه لتوظيفها في مساقها التربوي؛ على ألا تكون عملية الاختيار فردية ولا نهائية بل متجددة كلما دعت الضرورة لتوظيفه جيلاً بعد جيل (عزام، 2004).

وفي السياق نفسه ترى الباحثة "زليخة عبد الرحمان أبو ريشة أن العودة الصائبة للتراث تتطلب في البداية الاطلاع عليه ودراسته، واختباره، وانتقائه، وتعديله، بل وتكييفه بما يناسب الطفل وقدراته الإدراكية والوجدانية والفكرية، وذلك بغية الإسهام في إنضاج حركة ادب الاطفال من دون انبتاتها عن جذورها وأصولها. كما تشترط فيما يخص أساليب العودة إلى التراث تبسيط مضامين الكتب المختلفة مثلما تقترح اللجوء الى قصص القرآن وإعادة سرد السيرة النبوية، وسير العظماء، وبعض الوقائع والأحداث المهمة وسواها التي من شأنها أن تغني مكتبة الطفل (ريشة، 1989، صفحة 226)

2-7 التناسل سبيل لاستثمار التراث في أدب الطفل:

استنادا إلى ما تقدم من سبل استلهم التراث في أدب الطفل، يسع التصريح أن أسلوب التضمين قد يحلنا على "التناسل" الذي يعد حلا إضافيا لاستلهم التراث في أدب الطفل مع إلزامية اختياره بما يوائم المراحل العمرية التي تتباين المضامين التراثية في توجهها إليها من دون مساسها بالقيم التربوية والإنسانية والوطنية وغيرها.

مع العلم أن التناص لا يتعارض مع تقاطع النص الإبداعي مع نصوص أخرى ومنها التراث بأشكاله الشفهية، "ذلك أن كل خطاب يتكون أساسيا من خطابات أخرى سابقة ويتقاطع معها بصورة ظاهرة أو خفية فلا وجود لخطاب خال من آخر ويؤكد باختين هذه الحقيقة وي طرح نظرية الحوارية" (باختين، 1987، صفحة 54). التي تعد أسس التناص لدى جوليا كريستيفا التي استمدته من الحوارية الباختينية معتبرة إياه "لوحة فيسفسائية" يتكون منها كل نص عن طريق الاقتباسات، كما أن كل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى؛ وقد تكون تلك النصوص سابقة عنه أو معاصرة للنص الإبداعي. وهذه التعددية النصية التي أشارت إليها جوليا كريستيفا يمكن للتراث أن يكون نصا من نصوصها. لكن شريطة ألا تتجاوز مضامينه المدركات الحسية والمعرفية للطفل في أية مرحلة من المراحل السيكلوجية التي حددها علماء النفس والتربية.

وردفا على ما تمت الإشارة إليه فيما يخص سبل استلهاام التراث على ما تكتسيها من أهمية يبقى السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو؛ لماذا يغيب الترفيه والتسلية الذين يعشقهما الطفل في سبل استلهاام التراث في أدب الطفل؟ وذلك لانهما لم يشر إليهما لا من قريب ولا من بعيد من قبل الباحثين على اختلاف تخصصاتهم. مع أنهما قد تكونا ضرورتين في تيسير إقبال الطفل على تراثه، وتحبيبه إليه فينشأ على قيم الانتماء الحققة مزهوا بمرجعياته التاريخية والثقافية والانتربولوجية الغنية بالقيم والمبادئ السامية. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الترفيه يبقى ضمنيا في النصوص المختلفة الموجهة للطفل والذي يمرر عن طريق الملحة والنادرة والطرفة وما أكثرها في التراث الشفهية الجزائري.

3- بعض شذرات التراث في أدب الطفل بالجزائر:

يحفل أدب الطفل في الجزائر بالمادة التراثية التي يحاول الكتاب تكييفها للطفل عبر أجناس أدبية متنوعة منها الشعر والمسرح والقصة على الخصوص. ذلك أن علمهم بالأدب الشعبي، وإلمامهم

بمصادره يسرّ عليهم الإقبال على التراث والعمل على استلهامه، وإن كان منهم من لا يزال يغرف من تراث الآداب العالمية.

هذا ويتطلب استلهم التراث للأطفال الإلمام بالأدب الشعبي بصفة دقيقة من ناحية، كما يستلزم الاضطلاع بعوالم الطفولة وبخصائصها النفسية والعقلية والتربوية من ناحية أخرى.

3-1 التراث في القصة الموجهة للطفل الجزائري:

يعد رابح خدوسي* من الكتاب الجزائريين الذين استلهموا التراث في القصة الجزائرية الموجهة لشريحة الأطفال، فكانت له سلسلة "حكايات جزائرية" تحوي وقائع وأساطير من الأدب الشعبي الجزائري؛ ومن أهم قصص هذه السلسلة "بقرة اليتامى" و"عروس الجبال" أو "عائشة تبهلولت"، و"لونجا" و"الفرسان السبعة" وغيرها.

ويشيع موضوع هذه القصة الأخيرة في الحكايات الشعبية والخرافية، إذ يقوم الفرسان بمهمة إنقاذ أميرة حسناء وقعت في أسر وحش، ويتمكنون من إنجاز هذا العمل الجبار بفضل ذكائهم وشجاعتهم. وتبرز من هذا العمل جملة من القيم يتسم بعضها بالإيجابية وبعضها الآخر بالسلبية، حيث تتمثل القيم الإيجابية في الذكاء والتعاون والحكمة. أما القيم السلبية، فتتمثل في اختيار السلطان الفارس الذي يستحق الزواج من ابنته دون استشارتها، كما يركز العمل على اعتبار الجمال المقياس الوحيد لاختيار القرين. وهنا تكمن حنكة المبدع وحسن تصرفه بالمادة التراثية إن كان يملك حاسة تربوية تجعله يختار من هذا المأثور الشعبي ما يتناسب ووجدان الأطفال ومداركهم (جلولي، 2003، صفحة 102). وهذا ما جعل أغلب المبدعين الجزائريين في أدب الطفل أن يكونوا مربين وذوي خبرة بيداغوجية في التعامل مع شرائح الأطفال المختلفة.

3-2 معنائية وجود الحيوان في الفن القصصي:

يحتل الحيوان في القصة الجزائرية الموجهة للطفل مساحة فسيحة، حيث سخر في الموضوعات الاجتماعية بطابعها الخلقي والتربوي. وإذا اتخذ الحيوان في أدب الكبار لأغراض سياسية واجتماعية، فإنه استلهم في أدب الطفل بطريقة تربوية تهيئية وتعليمية بحتة ذات أبعاد ومرام تناشد نقد بعض الحالات الأخلاقية والاجتماعية المتردية في المجتمع؛ إذ يستخدم لتقييم اعوجاج خلقي أو اجتماعي، كما يقوم بشرح بعض الأنماط السلوكية، أو قد يسهم في تعليم درس ما (النجار، 1995، صفحة 187)، وغيرها من المآرب التي يوجد لأجلها الحيوان في القصة الجزائرية الموجهة لهذه الشريحة.

علاوة على أن الكتاب ألقوا هذه القصص التعليمية، وأنسوا الحيوان بنقلهم سلوك الإنسان الثقافي والمعرفي والاجتماعي إلى عالم الحيوان أو النبات أو الجماد، بحيث يغدو هذا العالم شبيها بل قد يطابق عالم الإنسان. وذلك ليدفع الكتاب الطفل إلى القراءة وليحببوه في المطالعة، ولولا ذلك لبقيت هذه القصص الحيوانية المستمدة في الأصل من الأدبي الهندي عديمة الفائدة، ناقصة المعنى، ضئيلة التأثير. والكاتب الناجح هو الذي يترك آثارا واضحة فيما يرويها من حكايات وخرافات على الأطفال، علما أن قصص الحيوانات تكرر أساسا للتعليم والتهديب كما سلف ذكره (مرتاض، 1994، صفحة 103).

هناك الكثير من الأعمال في هذا المقام وهي قصص شارحة تحليلية مثل قصة "ملك الحيوانات" لعزة عجان* الذي حاول تحليل سلوك وطباع الحزنون. وغالبا ما يستغل الكتاب معرفتهم بطباع الحيوانات فيصنعونها في صياغة أحداث القصة، وإجلاء ما يهدفون إلى إيصاله وتبليغه من التجارب والمواعظ التي خبروها في مجتمعاتهم إلى شريحة الأطفال (بورايو، 1986، صفحة 60). وناهيك عن محمد شنوفي الذي ولج عالم الطيور في مجموعة قصصية له بعنوان "حكاية عصفور" وضمنها ثلة من الرسائل والغايات التربوية والتهديبية السامية.

3-3 طبيعة التراث في مسرح الطفل بالجزائر:

ارتبط ظهور المسرح في الجزائر بالأشكال الشعبية للأدب مثل الحكواتي والمداح ومنشد المغازي، وكان ذلك قبل معرفة المسرح والسينما حيث " أثبت الحكواتي الجزائري حضوره إبان الاحتلال الفرنسي، فقد سخر من جنود الاحتلال وانتقد أعمالهم التعسفية، فكان له أثره الطيب في نفوس الجزائريين لدوره المحرض الذي كان يستجيب لمشاعر الناس، مما اضطر حكومة الاحتلال منذ عام 1843 إلى منعه (عواد، 1997، صفحة 166).

كما قام منشد المغازي بدور مشابه لدور الحكواتي، حيث عرفت الجزائر شكلا من أشكال أدب البطولة، وهو شكل قصصي ينشده الرواة المحترفون على مسامع الناس في الأسواق والتجمعات العامة على وقع العزف على الآلات الموسيقية التقليدية ويؤدي دراميا، ويسمى ب (المغازي) أو (الغزوات)، إذ كان يتطرق لوقائع الفتوحات الإسلامية ومنها استمدت تسميته. كذا حدث الشيء نفسه، بالنسبة إلى المداح الشعبي، الذي كانت قصصه بمثابة نوع من الرسالة السياسية والوطنية بالنسبة للمواطنين، ولذلك حاربه المحتل الفرنسي.

كثيرا ما غرّف الأدباء والشعراء الجزائريون من التراث الإسلامي في تأليف بعض الأعمال الأدبية في مناسبات دينية أو وطنية ومنهم " محمد العيد آل خليفة" الذي نظم مسرحية شعرية بعنوان (بلال بن رباح) نظمها الشاعر لتلاميذ المدارس، ونشرتها المطبعة العربية بالجزائر سنة 1938، مثلت لأول مرة بمدينة باتنة بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف سنة 1958 (مرتاض ع.، 1983، الصفحات 199-200)

يمكن القول في الأخير إن عملية الجمع فيما بين أدب الطفل والتراث يرافقه الكثير من العسر والقلّة، ذلك لأنّ تكييف التراث وجعله موافقاً لمدرّكات الطفل العقلية والفكرية والوجدانية أو لمراحل ومظاهر نموه أمر يصعب تجسيده، نتيجة ما يرافقها من شروط وخصائص بـسيكوتربوية شائكة ومتداخلة. هذا بالإضافة إلى أنّ حظّ الطفل من التراث كان يتأثّر إلى جانب الكبار، في بيئة لم تكن تراعي الفروق الجوهرية التي تفصل الطفل عن الراشد بخاصة إبان الاستعمار.

وإذا تعلّق الأمر بالأجناس الأدبية التي وظّف فيها التراث في الجزائر، فإن نصيب القصة منه كان أوفر مقارنة بالمسرح، ذلك أن تسخير التراث للخشبة وخصوصية توجهه إلى شريحة الأطفال، قد يتطلب من الدراماتوج الكثير من الجهود المادية والإخراجية التي تعيق وصول المادة التراثية إلى المتلقي الصغير. أما فيما يتعلق بنوع التراث الذي وظّفه المبدعون الجزائريون، فقد انصب اهتمامهم على فن السير والتراجم لشخصيات إسلامية وملحمية، إضافة إلى لجوئهم إلى استلهم وتكييف بعض الشخصيات والوقائع والأحداث من قصص ألف ليلة وليلة أو من التراث العربي والعالمي.* هذا بالإضافة إلى استفادة كتاب أدب الطفل في الجزائر من مخزون الحكايا الشعبية التي يزر بها التراث الجزائري المتميز بالاختلاف والتعدد تبعاً للتنوع البيئي والجغرافي واللغوي الذي يسم تراثها الغير مادي بالفردة والخصوصية الجزائرية.

قائمة المصادر والمراجع:

أحمد علي كنعان. (2011). أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل. □□□□ □□□□ □□□□
27(2+1)، الصفحات 87-138.

العيد جلوي. (2003). الجزائر: دار هومة.

[illegible]

جميل حمداوي. (07, 06, 1997). □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□. تم الاسترداد من صحيفة المثلث - العدد 1420:

https://library.ccq.edu.qa/search*ara?/drole/drole/2797%2C-C4%2C2%1&FF=d~4~2~b~t~8+~p~d~b~7&1%2C0%2CE/frameset

زليخة عبد الرحمن أبو ريشة. (1989). أدب الأطفال العربي الحديث (الأخر والنظرية والتطبيق) رسالة ماجستير. قسم اللغة العربية، الأردن : الجامعة الأردنية.

[illegible]

طاهرة داخل طاهر. (بلا تاريخ).
 تاريخ الاسترداد 9 19 2020، من قسم اللغة العربية -جامعة
 المستنصرية :

https://uomustansiriyah.edu.iq/media/lectures/12/12_2018_09_30!04_23_46_
PM.doc

عبد الحميد بورايو. (1986). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
 (الطبعة الأولى).

عبد السلام محمد. (2016). أثر استخدام القصص التراثية في عروض المسرح المدرسي في تنمية العقل لدى طلبة المرحلة الابتدائية (رسالة ماجستير). كلية التربية، مصر: جامعة جنوب الوادي.

عبد المالك مرتاض، (1983). □□□□□□ □□ □□□□□□ □□□□ □□□□ (1931-1954).
الجزء ١ : ديوان المطبوعات الجامعية.

على عواد. (1997). □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□. المركز الثقافي العربي .

(1. éd.) (١٩٨٧-٢٠٠٣) ف. عيسى
دار المعارف :مصر، الاسكندرية

[illegible]

محمد جمال عمرو. (1990). □□□□□□ □□□ □□□ □□□□□□ (الإصدار 1). الأردن: دار البشير.

محمد رجب النجار. (1995). حكايات الحيوان في التراث الشعبي. □□□□□□ □□□□ □□□□. 24(1+2)، الصفحات 187-212.

[illegible]

محمد مرتاض. (1994). □□□□□□ □□ □□□□ □□ (□□□□□□ □□□□□□).
الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية.

معجم عربي. (4 9, 1990). □□□□□ □□□□□□. تاريخ الاسترداد 2 18, 2020، من

<https://www.almaany.com/ar/dict-ar-ar/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%84%D9%87%D8%A7%D9%85/?page=8>

ميخائيل باختين. (1987). □□□□□□ □□□□□□ (الإصدار 1). (محمد برادة، المترجمون) القاهرة، مصر: دار الفكر للدراسات.

يحي سليم يحي. (2017). آليات توظيف التراث في النص المسرحي الأردني. □□□□□□□□ □□□□□□. □□□□□□□□ □□□□□□□□. 10(1)، الصفحات 20-1.